

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة

د . مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الأطهار الطيبين . أما بعد :

فالم تأمل في أحوال المسلمين أفراداً وجماعات، قبائل وشعوباً، دولاً وتجمعات يقف على حقيقة مرة، هذه الحقيقة تستحق من كل غيور الدراسة والبحث وإيجاد الحلول . . . ألا وهي : (ضعف التوكل على الله) .

فمعظم الناس قد اعتمدوا على الأسباب في رزقهم، وفي جميع أمورهم، أما في الأزمات فنرى عجباً؛ إذ إن غالب المسلمين حكاماً ومحكومين اعتمدوا على أعدائهم، ونسوا أن الله هو أقوى الأقوياء، وأنه إنما يقول للشيء كن فيكون، وأنه أرأف وأرحم بعباده من أنفسهم بأنفسهم .

(١) أستاذ الحديث المساعد بكلية المعلمين بمكة المكرمة، وقد سبقت ترجمته في العدد (٤١) ص (٢٨٣) .

والسبب في نظري جهلهم الكبير بحقائق الدين، فالكثير من المنتسبين للدين الإسلامي لم يعرفوا هذا الإله العظيم حق المعرفة ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(١).

ولم يدركوا حقيقة سر وجودهم في الحياة، ولم يتعلموا العلم الشرعي الذي ينير لهم دروب الحياة، فوقعوا فيما وقعوا فيه، وأصبحت حياتهم يكتنفها الخوف والقلق، وعدم الاستقرار، وصار الوقت والجهد والمال والعمر والأولاد... أشياء غير مباركة، بل صارت مصدر شقاء وعناء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإسهاماً مني في محاولة معالجة هذا الخلل العقدي كان هذا البحث، وقد بذلت ما استطعت محاولاً الإجابة، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن ينفع به الكاتب والقارئ، وأن يجعله في ميزان الحسنات.

مقدمة في معنى التوكل، ومنازل الناس فيه، ودرجاته :

أولاً : معنى التوكل :

التوكل له في اللغة معانٍ عديدة منها :

أ - التكفل : يقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، وجاء في الحديث : « من توكل بما بين لحييه ورجليه، توكلت له بالجنة » أي من تكفل بما بين لحييه تكفلت له بالجنة^(٢).

(١) سورة الحج، الآية ٧٤.

(٢) النهاية لابن الأثير (٣٢١/٥).

ب - الاعتماد على الغير : تقول : وكلت أمري إلى فلان، أي اعتمدت فيه عليه، ويقال : وكل فلان فلاناً: أي اعتمد عليه في أمور نفسه ثقة بكفائته^(١).

أما في الاصطلاح فقد ذكر العلماء له تعريفات عديدة اختلفت عباراتها واتحد معناها ومنها:

التوكل : حركة ذات الإنسان في الأسباب بالظاهر والباطن .
وسكون إلى المسبب وركون إليه بحيث لا يضطرب قلبه معه ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه^(٢).

ويتضح من هذا التعريف أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل إنه لا يصح إلا مع القيام بها، ومن ثم فقد نقل ابن القيم الإجماع على أن ترك الأخذ بالأسباب يؤدي إلى عدم صحة التوكل .

ويجب على المسلم ألا يتوكل إلا على الله سبحانه فهو نعم الوكيل كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٣).

كما أنه تعالى قد حذر من اتخاذ وكيل غيره فقال : ﴿ أَلَا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾^(٤).

(١) لسان العرب (١١/ ٧٣٤ - ٧٣٦) .

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١١٤ - ١١٧) .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٣ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٢ .

ولذلك فإن خليل الرحمن، وهو في وقت الشدة نراه يقول
لجبريل عليه السلام : « أما إليك فلا . . . » وذلك عندما قال
له : « ألك حاجة ؟ »^(١).

والوكيل : فعليل من التوكل ومعناه : المتوكل عليه الذي
نفوض إليه أمورنا فيوصل إلينا النفع ويدفع عنا الضر .
ثانياً : منازل الناس في التوكل :

قال ابن القيم : « فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في
الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي
محابه، وتنفيذ أوامره .

ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في استقامته في نفسه،
وحفظ حاله مع الله فارغاً عن الناس .

ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في معلوم يناله منه، من
رزق أو عافية أو نصر على عدو، أو زوجة، أو ولد، ونحو
ذلك .

ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في حصول الإثم
والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب، لا ينالونها غالباً إلا
باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من
توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم في

(١) ذكر ذلك ابن كثير في (تفسير القرآن العظيم) ج (٥) ص (٤٥) ط .
الشعبي .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم، ويظفرهم بمطالهم^(١).

ثم الناس بعد التوكل على حسب همهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف .

ومن صدق توكله على الله في الحصول على شيء ناله، فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه، وإن لم يستعن به على طاعاته، والله أعلم^(٢).

أما حال أهل هذا الزمان فهو مخالف لما يجب أن يكون عليه أهل الإيمان وأهل التوكل .

فنرى الدول الإسلامية قد ركنت إلى الدول الغربية أو الشرقية (الكفار) بل وكثير من هذه الدول الإسلامية تفتخر بصداقاتها وولائها وحبها لهذه الدول الكافرة، بل وحكمتها في شعوبها وثرواتها وأخلاقيها وغير ذلك، وما ذاك إلا خوفاً من هذه الدول الكافرة، وجهلاً بالله وبشرعه المطهر؛ مما ترتب على ذلك تحكيم للقوانين الوضعية الكافرة، وإقصاء للشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله لعباده وأوليائه .

(١) وهذا الذي ذكره ابن القيم غير مسلم لأن أهل الإثم والفواحش أبعد ما يكونون عن الله وعن التوكل على الله، ويمكن أن يقع من بعضهم .

(٢) مدراج السالكين (١١٣ / ٢) .

والمخرج من هذا الوضع هو الرجوع إلى الله بتحكيم شرع الله والالتجاء إلى الله والتوكل عليه لأنه أقوى الأقوياء، وناصر الضعفاء ومعز الأولياء وداحر الأعداء .

أما على مستوى الأفراد فلا شك أنهم أيضاً - إلا من رحم الله - قد ركنوا إلى الأسباب، وتركوا المسبب، واعتمدوا على أنفسهم في الأرزاق وفي كل الأحوال، وابتعدوا عن الله القادر الرازق . وسبب ذلك؛ الجهل بالله وبدين الله، والمخرج من ذلك كله هو تعلم دين الله ومعرفة الله بأسمائه وصفاته، والرجوع إليه في كل كبير وصغير وجليل وحقير .

والأمة الإسلامية مطالبة بتحكيم دين الله في العقيدة والشريعة وفي العبادات والمعاملات، وفي الأخلاق والعلاقات، وفي كل نواحي الحياة حتى تعود لها كرامتها وعزتها ومجدها وحتى يندحر الأعداء ويذلوا ويخضعوا للإسلام وأهله صاغرين والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل .

ثالثاً : درجات التوكل :

إن التوكل درجات، وأفضله : التوكل في الواجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس، وأوسع وأمنعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهو توكل ورثتهم^(١) .

(١) مدراج السالكين (١١٣/٢) .

والتوكل ثلاث درجات :

- ١- التوكل : وهو البداية، فالتوكل يسكن إلى وعد ربه، والتوكل صفة المؤمنين، وصفة الأنبياء .
- ٢- التسليم : وهو واسطة، وصاحب التسليم، يكتفي بعلم ربه، والتسليم صفة الأولياء، وهو صفة إبراهيم الخليل .
- ٣- التفويض : وهو النهاية، وصاحب التفويض يرضى بحكم ربه، والتفويض صفة الموحدين، وهو صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومعنى هذا :

التوكل : اعتماد على الوكيل، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه، وإرادة وشائبة منازعة . فإذا سلم إليه زال عنه ذلك، ورضي بما يفعله وكيله، وحال المفوض فوق هذا، فإنه طالب مريد ممن فوض إليه، ملتمس منه أن يتولى أموره، فهو رضا واختيار، وتسليم واعتماد .

فالتوكل يندرج في التسليم، وهو والتسليم يندرجان في التفويض والله أعلم^(١) .

(١) ذكره ابن القيم في (مدارج السالكين) (١١٧/٢) وعزا هذا التقسيم إلى أبي علي الدقاق .

الفصل الأول

وسائل تعمق التوكل في نفوس المؤمنين

هناك وسائل عديدة تعمق التوكل في نفوس المؤمنين منها معرفة الرب سبحانه، وإثبات الأسباب وتوحيد القلب، وحسن الظن بالله، وتفويض الأمر إليه - جل شأنه - وسوف نتناول كل وسيلة من هذه الوسائل بالبحث والتفصيل في مبحث على حدة .

المبحث الأول : معرفة الرب سبحانه وتعالى بأسمائه

وصفاته :

إن أول ما يجب على العبد معرفة الله - سبحانه وتعالى - المعرفة الصحيحة قال تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(١) ولا تتم هذه المعرفة وهذا العلم - على الوجه الأكمل - إلا بمعرفة أسمائه وصفاته .

وعلى هذا يجب أن نتعرف على الذات الإلهية كما تعرف عليها السلف - رضوان الله عليهم - من خلال النصوص التالية :

قال جل شأنه : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة محمد، الآية ١٩ .

(٢) سورة هود، الآية ١٤ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢). وقال جل وعلا : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾^(٣). وقال سبحانه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٥) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة »^(٧).

وذاته تعالى كاملة، الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد، فلا تشبه ذاته ذات أحد من خلقه . وذاته موصوفة بجميع الكمالات التي لا تعد ولا تحصى، ولذلك قال رسول الله ﷺ في

(١) أخرجه مسلم في (الصحيح) (٥٥ / ١) رقم (٤٣) من حديث عثمان بن عفان، انظر : (صحيح الجامع) رقم (٦٤٢٨) .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ١١٠ .

(٤) سورة الحشر، الآيات ٢٢ - ٢٤ .

(٥) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٣٧٧ / ١٣) رقم (٧٣٩٢) من حديث أبي هريرة، والترمذي في (الجامع) كتاب (الدعوات) رقم (٨٢)، وأحمد في (المسند) (٢٥٨ / ٢) (٢٦٧) .

دعائه : « لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »^(١).

لكن علم حقيقة ذاته وكيفيتها، أمر لا سبيل إليه لأي مخلوق، إذ ليس من الجائز أن يحيط المخلوق بالخالق علماً وإدراكاً لحقيقته، ذاتاً ووصفاً، وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(٢).

وقال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣).

ولفظ (الله) لفظ الجلالة لا يطلق إلا على المعبود بالحق وهو خالق السموات والأرض، ومدبر الأمر فيهما سبحانه . وهو دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى بجميع الدلالات :

فهو دال على الإلهية المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له سبحانه مع نفي أضدادها عنه تعالى . وهو مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها . وهو دال على كونه مألوهاً معبوداً، تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً^(٤).

(١) صحيح مسلم (٣٥٢/١)، جامع الترمذي (٥٢٤/٤)، سنن أبي داود (٥٤٧/١)، ابن ماجه (١٢٦٣/٢)، موطأ مالك (١٦٧/١)، مسند الإمام أحمد (٥٨/٦) من حديث عائشة .

(٢) سورة طه، الآية ١١٠ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

(٤) (مدارج السالكين) لابن القيم (٣٢/١) .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

واللهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله . . وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله) .

وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدير أمر الخليقة أخص باسم (الرب) .

وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والمنة، والرأفة، واللطف أخص باسم (الرحمن) ^(١) .

ويجب أن نعرف أن هناك علاقة بين الأسماء والصفات .

قال البيهقي : (وفي إثبات أسمائه إثبات صفاته، لأنه إذا ثبت كونه موجوداً، فوصف بأنه (حي) فقد وصف بزيادة صفة على الذات هي : (الحياة) .

وإذا وصف بأنه (عالم) فقد وصف بزيادة صفة هي (العلم) كما إذا وصف بأنه (خالق) فقد وصف بزيادة صفة هي (الخلق) .

وإذا وصف بأنه (رازق) فقد وصف بزيادة صفة هي (الرزق) .

وإذا وصف بأنه (محيي) فقد وصف بزيادة صفة هي

(١) مدارج السالكين (٣٢/١) .

(الإحياء) .

إذ لولا هذه المعاني لاقتصر في أسمائه على ما ينبىء عن وجود الذات فقط^(١) .

وإليك بعض أسماء الله ومعانيها التي تعمق التوكل في نفوس المؤمنين :

١ - الرزاق :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢) .

أي المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته^(٣) .

٢ - المجيب :

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَحْمَتِي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾^(٤) .

وقال أبو موسى : إنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرفعوا أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون قريباً مجيباً يسمع دعاءكم ويستجيب » الحديث^(٥) .

(١) الأسماء والصفات ص (١١٠) .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٢) .

(٣) شأن الدعاء ص (٥٤) .

(٤) سورة هود، الآية ٦١ .

(٥) رواه أحمد في (المسند) (٤٠٣/٤) ورجاله كلهم ثقات .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

ومعناه : هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه^(١).

٣ - الوكيل :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو من الليل : « اللهم لك الحمد، أنت رب السموات والأرض، لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله غيرك »^(٣).

ومعناه : هو الكافي وهو الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، وقيل الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم^(٤).

(١) الاعتقاد، ص (١٧) .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٢ .

(٣) رواه البخاري في (الصحيح) (٣٧١ / ١٣) رقم (٧٣٨٥) من حديث ابن عباس، ومسلم في (الصحيح) كتاب (المسافرين) رقم (١٩٩) .

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص (١٧ - ١٨) .

٤ - القابض الباسط :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١).

ومعناه : هو الذي يوسع الرزق، ويقتره، ويبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته (٢).

٥ - الخافض الرافع :

قال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض » (٤).

ومعنى الخافض : هو الذي يخفض من يشاء بانتقامه، والرافع : هو الذي يرفع من يشاء بإنعامه (٥).

٦ - القيوم :

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٥ .

(٢) الاعتقاد، ص (١٦) .

(٣) سورة يوسف، الآية ٧٦ .

(٤) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٤٠٣ / ١٣) رقم (٧٤١٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم في (الصحيح) كتاب (الزكاة) ص (٣٧) .

(٥) الاعتقاد ص (١٦) .

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تهجده إذا قام من الليل : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ... » الحديث^(١).

وفي رواية : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيام السموات والأرض ... »^(٢).

٧ - الهادي :

قال تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يفتتح صلاته بـ « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك

(١) صحيح البخاري (٣/٣) رقم (١٢٠) من حديث ابن عباس .

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٤٢٣/١٣) رقم (٧٤٤٢) من حديث ابن عباس وقال مجاهد : القيوم القائم على كل شيء، وأخرجه مسلم في (الصحيح) باب (المسافرين) ص (١٩٩)، والترمذي في (الجامع) باب (الدعوات) ص (٢٩)، وأخرجه النسائي في (السنن) باب (قيام الليل) ص (٩)، وابن ماجه في باب (الإقامة) (١٨٠)، ومالك في (الموطأ) باب (مس القرآن) ص (٣٤)، وأحمد في (المسند) (٢٩٨/١) .

(٣) سورة مريم، الآية ٧٦ .

(٤) سورة الحج، الآية ٥٤ .

إنك على صراط مستقيم»^(١).

٨ - القريب :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء »^(٣).

ومعناه : أنه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعو به بإجابته^(٤).
وأيضاً فإن من صفاته سبحانه وتعالى التي تعمق التوكل في نفوس المؤمنين :

أ - صفة الحياة :

قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون »^(٦).

(١) جامع الترمذي (٤٨٤/٥) رقم (٣٤٢٠) .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

(٣) أخرجه مسلم في (الصحيح) (٣٥٠/١) رقم (٤٨٢) ، والنسائي في (السنن) باب (المواقيت) ص (٣٥) ، والترمذي في (الجامع) باب (الدعوات) ص (١١٨) رقم (٤٢١/٢) .

(٤) الاعتقاد، ص (٢٠) .

(٥) سورة الفرقان، الآية ٥٨ .

(٦) صحيح مسلم (٢٠٨٦/٤) رقم (٢٧١٧) .

ب - صفة العلم :

قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ^(١) .
 وورد في قصة الخضر مع موسى عليه السلام وفيها : « . . .
 وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له
 الخضر عليه السلام : ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى
 إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر » ^(٢) .

ج - صفة القدرة :

قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴾ ^(٣) .
 وقال جابر : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا
 الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « إذا هم أحدكم
 بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني
 أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك . . . » الحديث ^(٤) .

د - الإرادة :

قال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٥) .

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

(٢) صحيح البخاري (٤٠٩/٨)، صحيح مسلم (١٨٤٧/٤) رقم (٢٣٨٠) .

(٣) سورة القيامة، الآية ٤ .

(٤) صحيح البخاري (١٨٢/١١) رقم (١٣٨٢) .

(٥) سورة المائدة، الآية ٦ .

وعن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله »^(١).

هـ - السمع والبصر :

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري - عندما رفع الصحابة أصواتهم بالدعاء - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .. »^(٣).

المبحث الثاني : إثبات الأسباب والمسببات :

السبب : كل شيء يتوصل به إلى غيره، وجمعه أسباب .

والله عز وجل مسبب الأسباب، ومنه التسبب^(٤).

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾^(٥).

(١) صحيح البخاري (١٦٤/١) رقم (٧١)، صحيح مسلم (٧١٨/٢) رقم (١٠٣٧).

(٢) سورة النساء، الآية ١٣٤ .

(٣) صحيح البخاري (٣٧٢/١٣) رقم (٧٣٨٦)، صحيح مسلم (٢٠٧٦/٤) رقم (٢٧٠٤) .

(٤) لسان العرب (٤٥٨/١) .

(٥) سورة الليل، الآيات ٥ - ١٠ .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

وقال أنس بن مالك : قال رجل : يا رسول الله أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ قال : « اعقلها وتوكل »^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً »^(٢).

ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، فقليل له : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال : « لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له... »^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان أهل اليمن، يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة، سألوا الناس فأنزل الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى ﴾ »^(٤) ^(٥).

والله سبحانه وتعالى قدر المقادير وهياً لها أسباباً وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلاً

(١) جامع الترمذي (٦٦٨/٤) رقم (٢٥١٧)، وذكره الألباني وقال عنه حسن رقم (١٠٧٩) .

(٢) جامع الترمذي (٥٧٣/٤) رقم (٣٣٤٤)، أحمد (٣٠/١)، (٥٢) .

(٣) ذكره الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١٠٨٥) ثم عزاه إلى الطبراني عن ابن عباس وعن عمران بن حصين ثم قال عنه : صحيح .

(٤) سورة البقرة، من الآية ١٩٧ .

(٥) صحيح البخاري (٣٨٣/٣) رقم (١٥٢٣)، وأخرجه أبو داود في (السنن) كتاب (المناسك) الباب الرابع .

من خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهياً له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها .

وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً في وجود الزرع، والنكاح سبباً في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار . وقد فقه هذا كل هذا الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر : « ما كنت بأشد اجتهاداً مني الآن » .

والتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل : عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها^(١) .

وقد يبدو لأول وهلة أن إثبات الأسباب يقدر في التوكل وأن نفيها تمام التوكل والصحيح عكس ذلك تماماً .

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية .

والتجرد من الأسباب جملة ممتنع عقلاً وشرعاً وحساً، وما أخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الأسباب، وقد

(١) مدارج السالكين (١١٨/٢ - ١٢٠) .

ظاهر بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عرياناً كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة، واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه يدلّه على طريق الهجرة وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين، وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة، حمل الزاد والمزاد، وجميع أصحابه، وهم أولو التوكل حقاً وأكمل المتوكلين... (١).

وقال ابن القيم : (... فمنع الأسباب أن تكون أسباباً، قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد، والتوكل والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال والله أعلم) (٢).

المبحث الثالث : توحيد القلب :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] [أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] (٣).

(١) مدارج السالكين (١١٨/٢ - ١٢٠)، وتهذيب مدارج السالكين ص (٣٣٨)، معارج القبول (٣٦٣/٢) ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء .

(٢) طريق الهجرتين ص (٣٣٢)، ط. دار الكتاب العربي بيروت .

(٣) سورة الأنفال، الآيات ٢ - ٤ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ ^(٢) رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ^(٣).

قال ابن القيم : (... وحقيقة التوكل : القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب، والاعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لحد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه .

فالموحد المتوكل : لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها، ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها، بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها؛ بل يكون قائماً بها، ملتفتاً إليها ناظراً إلى مسببها - سبحانه - ومجريها .

فلا يصح التوكل - شرعاً وعقلاً - إلا عليه سبحانه وحده، فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلا مشيئته وحده، فهو الذي سبب الأسباب، وجعل فيها القوى والاقتضاء لآثارها، ولم يجعل منها سبباً يقتضي وحده أثره؛ بل لا بد معه من سبب آخر يشاركه، ويجعل لها أسباباً تضادها وتمانعها، بخلاف مشيئته سبحانه، فإنها لا تحتاج إلى أمر آخر، ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها، ويضادها، وإن كان الله سبحانه قد يبطل حكم مشيئته

(١) سورة التغابن، الآية ١٣ .

(٢) سورة المزمل، الآيتان ٨، ٩ .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

بمشيئة، فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضاده ويمنع حصوله، والجميع بمشيئته واختياره .

فلا يصح التوكل إلا عليه، ولا الالتجاء إلا إليه، ولا الخوف إلا منه، ولا الرجاء إلا له، ولا الطمع إلا في رحمته، كما قال أعرف الخلق به صلى الله عليه وسلم : « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك » وقال : « لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك »^(١).

نعم لا يصح التوكل حتى يصح التوحيد، ولا يصح التوحيد إلا إذا صح توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله .

فإنه لا يكون إلهاً مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرفاً مدبراً لجميع الأمور حياً قيوماً سميعاً بصيراً، عليمًا حكيمًا موصوفًا بكل كمال، منزهاً عن كل نقص، غنياً عما سواه مفتقراً إليه كل ما عداه، فاعلاً مختاراً، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا يخفى عليه خافية، وهذه صفات الله عز وجل، لا تنبغي إلا له، ولا يشركه فيها غيره .

فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ، ولا تجوز لغيره، فحيث كان منفرداً بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد، وجب إفراده بالعبادة دون من سواه لا يشرك معه في عبادته

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٩)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت .

أحد كما قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدًا أَوْ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرِشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (١).

فالمتموكل على الله، لا يتم توكله ولا يترتب عليه مقصوده إلا إذا وحد قلبه على الله، ونفى الشرك عنه، وتوكل على الله حق التوكل، بقطع علائق الأسباب عن قلبه .

لأن التوكل الصحيح خاص بالقلب، وفعل الأسباب خاص بالجوارح، فإذا تعلق القلب بالأسباب، فإنه قد أشرك وهذا يميز المتوكل الموحّد، والمتوكل المشرك .

فإذا اجتمع توكل خالص، وفعل الأسباب حصل المقصود وتحقق الهدف والغاية والله المستعان .

المبحث الرابع : حسن الظن بالله عز وجل :

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئٍ ﴾ (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » (٣).

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥ .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٢٠٥/٤) رقم (٢٨٧٧) من حديث جابر، وأبو داود في (السنن) كتاب (الجنائز) رقم (١٣)، وابن ماجه في (السنن) كتاب (الزهد) رقم (١٤)، وأحمد في (المسند) (٢٩٣/٣) =

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي »^(١).

وفي الحديث الصحيح الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي »^(٢).

وحسن الظن بالله هو : الرجاء، وهو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه .

وقيل : هو الثقة بجود الرب تعالى، لكن لصحته علامة وهي حسن الطاعة .

قال شاه الكرمانى : والمتوكل المؤمن يعيش بين نظرين، نظر إلى نفسه وعيوبه، وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره، ونظر يفتح عليه باب الرجاء .

ولذلك قال أبو علي الروذباري : الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير، وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت .

= ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٩٠ .

(١) صحيح البخاري (٤٦٦/١٣) رقم (٧٥٠٥) من حديث أبي هريرة، صحيح مسلم (٢١٠٢/٤) رقم (٢٦٧٥) .

(٢) جامع الترمذي (٥٤٨/٥) رقم (٣٥٤٠)، سنن الدارمي (٢٣٠/٢) رقم (٢٧٩١)، ذكره الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٤٢١٣) ثم عزاه إلى الترمذي والضياء عن أنس ثم قال: حسن .

وقال يحيى بن معاذ: إلهي، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاءك^(١).

وقال ابن القيم : (وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راج، خائف بالضرورة، فهو أرجى ما يكون لحبيبه، أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه فإنه يخاف سقوطه من عينه، وطرده محبوبه له وإبعاده، واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوف، ورجاؤه ذاتي للمحبة؛ فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه، فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه، ونعم قلبه من ألطف محبوه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضا، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه، فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه^(٢).

والعبد يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء . والرجاء يبعث العبد إلى أعلى مقامات العبودية وهو الشكر . والرجاء إذا انقطعت عنه الموانع، واستبان للعبد الطريق، طمع بالوصول وصارت حاله حال المعاین، فتنجم له قوى الظاهر والباطن على قصد الوصول والعزم عليه لمشاهدته ما هو سائر إليه، هكذا عادة المسافر أنه إذا عاين القرية التي يريد

(١) مدارج السالكين (٣٥ / ٢ - ٣٦)، تهذيب المدارج ص (٢٩٧) .

(٢) تهذيب مدارج السالكين ص (٢٩٩) .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

دخولها أسرع السير وبذل الجهد، وكذلك الصادق في آخر عمره، أقوى عزما وقصدا من أوله لقربه من الغاية التي يجري إليها .

وأعلى رجاء هو رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الخالق، الباعث على الاشتياق، المبغض المنغص للعيش، المزهدي في الخلق^(١) .

وقال ابن القيم أيضا : فعلى حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله .

والتحقيق : أن حسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنه به، ولا التوكل على من لا يرجوه والله أعلم^(٢) .

المبحث الخامس : تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى :

قال تعالى : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) .

قال ابن كثير على هذه الآية : (أي : وأتوكل على الله وأستعينه ...) ^(٤) والتفويض من أعمال القلوب .

قال ابن القيم : (... وأما علمه - يعني القلب - فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له ...) ^(٥) .

(١) تهذيب مدارج السالكين ص (٣٠١ - ٣٠٥) .

(٢) مدارج السالكين (١٢١ / ٢) .

(٣) سورة غافر، الآية ٤٤ .

(٤) التفسير (١٣٥ / ٧) .

(٥) طريق الهجرتين، ص (٣٢٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث الفاتحة : « فإذا قال العبد : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : مجدني عبدي، وقال مرة : فوض إليّ عبدي »^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ما يقول العبد إذا أراد النوم : « اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك . . . » الحديث^(٢).

وقال ابن الأثير في حديث الدعاء : (فوضت أمري إليك أي رددته، ويقال : فوض إليه الأمر تفويضاً إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه)^(٣).

وقال ابن القيم : (. . . التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرمأ واضطراباً، والمفوض لا يفوض أمره إلى الله إلا لإرادته أن يقضي له ما هو خير له في معاشه ومعاده، وإن كان المقضي له خلاف ما يظنه خيراً، فهو راض به لأنه يعلم أنه خير له، وإن خفيت عليه جهة المصلحة فيه، وهكذا حال المتوكل سواء)^(٤).

(١) صحيح مسلم (٢٩٦/١) رقم (٢٩٥) من حديث أبي هريرة .

(٢) صحيح البخاري (٤٦٢/١٣) رقم (٧٤٨٨)، صحيح مسلم (الذكر) (٥٦، ٥٧)، د أدب / ٩٨، ت دعوات/١٦، دي استئذان/٥١، حم ٢٨٥/٤ .

(٣) النهاية (٤٧٩/٣) .

(٤) مدارج السالكين (١٢٢/٢)، تهذيب المدارج ص (٣٤١) .

الفصل الثاني

أهمية التوكل وفضله

التوكل له أهمية كبيرة وفضل عظيم ويدل على أهميته ما يلي :

أولاً : الأمر من الله لأنبيائه بالتوكل عليه :

قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢).

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ^(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ^(٥).

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٨ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦١ .

(٣) سورة هود، الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٨ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ .

ثانياً : توكل الأنبياء على الله :

قال تعالى : ﴿ إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٥٤) ﴿٢﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٦) ﴿٣﴾ . وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَسْعَيْتُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٨٧) ﴿٤﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨) ﴿٥﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٩٧) ﴿٦﴾ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ... » (٥) .

(١) سورة الملك ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة هود ، الآيات ٥٤ - ٥٦ .

(٣) سورة هود ، الآيتان ٨٧ - ٨٨ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٦٧ .

(٥) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٣ / ٣) رقم (١١٢٠) ، وأخرجه مسلم في (الصحيح) (٥٣٣ / ١) رقم (١٩٩) من حديث ابن عباس .

ثالثاً : الأمر من الله لعباده المؤمنين بالتوكل عليه :

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١). وقال تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

رابعاً : توكل المؤمنين على الله :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٥). وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٦). وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ

(١) سورة المائدة، الآية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٠ .

(٤) سورة التغابن، الآية ١٣ .

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٨ - ٥٩ .

(٦) سورة الشورى، الآية ٣٦ .

أما فضل التوكل فيدل عليه :

أولاً : حب الله للمتوكلين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩) ﴿١﴾ .

ثانياً : الهداية والكفاية والوقاية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له : حسبك قد هديت وكفيت ووقيت فيتحنى له الشيطان ، فيقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ، ووقي » (٢) .

ثالثاً : دخول الجنة بغير حساب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » قالوا : من هم يا رسول الله؟ قال : « هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون ، وعلى ربهم يتوكلون » (٣) .

رابعاً : الرزق السهل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً

= (كتاب الذكر) (٥٦ ، ٥٧) من حديث البراء بن عازب .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) انظر (صحيح الجامع) للألباني رقم (٥١٣) ثم قال : صحيح .

(٣) أخرجه البخاري في (الصحيح) (١٥٥/١٠) رقم (٥٧٠٥) ، ومسلم في

(الصحيح) (١٩٨/١) رقم (٣٧٢) من حديث عمران بن حصين .

وتروح بطاناً»^(١).

خامساً: تسمية الله نبيه صلى الله عليه وسلم: « المتوكل »
 روى البخاري وأحمد من حديث هلال بن عطاء بن يسار
 قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت :
 أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال :
 أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن :
 (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمين ،
 أنت عبيدي ورسولي سميتك المتوكل ...)^(٢).

الفصل الثالث

لا توكل بلا إيمان ولا إيمان بدون توكل

التوكل : هو كلة الأمر إلى مالكة، أي تسليمه إلى من هو
 بيده . وعلى هذا فلا يصح توكل من دون إيمان، بل إذا انتفى
 التوكل انتفى الإيمان، وقد شرط سبحانه وتعالى لوجود الإيمان
 التوكل عليه فقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

(١) أخرجه أحمد في (المسند) (٣٠/١ ، ٥٢)، وأخرجه الترمذي في
 (جامعه) (٥٧٣/٤) رقم (٢٣٤٤)، ثم قال : حديث حسن صحيح،
 من حديث عمر بن الخطاب .

(٢) صحيح البخاري (٣١٢/٤) رقم (٢١٢٥)، المسند (١٧٤/٢) .

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٣ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

ومن ثم فقد قال ابن القيم : (التوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته .. وإن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان .

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل... (٢).

وقال سيد قطب في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ : (فعلى الله وحده يتوكل المؤمن وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته وهذا هو منطق الإيمان ومقتضياته... (٣).

ومما سبق يتأكد ما ذكرناه ابتداءً من أن الإيمان ينتفي إذا انتفى التوكل والتوكل لا يكون إلا من مؤمن، وبقدر قوة الإيمان يكون التوكل قوةً وضعفاً .

(١) سورة الأنفال، الآية ٢ .

(٢) طريق الهجرتين ص (٣٢٦) ط . دار الكتاب العربي .

(٣) في ظلال القرآن (٨٧٩/٢) ط . الشروق .

الفصل الرابع اشتباه التوكل بغيره

إن هذا الباب - باب التوكل - يكثر اشتباه الدعاوى فيه بالحقائق والعوارض، بالمطالب والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة، ونحن سنذكر لك هنا بعضاً من ذلك؛ للتحذير منه والتنبه إليه .

أولاً : اشتباه التفويض بالإضاعة :

التفويض : هو التبرؤ من الحول والقوة، وتسليم الأمر إلى صاحبه وهو الاستسلام لمالك الأمر ومصرفه، ويكون التفويض قبل وقوع السبب وبعد وقوعه .

والمفوض منقاد بالكلية إلى الحق سبحانه، ولا يبالي أكان ما يقضي له خيراً أم خلافاً - في نظره - ^(١) .

أما الإضاعة : فهي تتمثل في عدم التوكل - والتوكل أشمل من التفويض - وترك فعل الأسباب، ولا شك أن من فعل ذلك فإنه يضيع الدنيا والآخرة، فإذا اشتبه الباب المحمود الكامل وهو التوكل على الله حق التوكل ثم التفويض إلى مالك الملك والمتصرف في ملكه، إذا اشتبه بالباب المذموم الناقص وهو الإضاعة بعدم بذل الأسباب وعدم التوكل ثم التفويض فإن النتيجة

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣٧ - ١٤٣) .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

هي عدم الإنتاجية أو تضييع من قبل العبد لحقه؛ لأنه أضاع حق الله .

أما المفوض فقد ضمن حق الله، فضمن الله له حقه وحقق هدفه^(١).

ثانياً : اشتباه التوكل بالراحة :

والتوكل - كما تقرر - هو التعلق بالله في كل حال، مع بذل الأسباب ثم التفويض لله، والذي يثمر الرضا بقضاء الله وقدره .

ولا يصح التوكل إلا بالقيام بالأسباب، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد، والراحة هي إلقاء حمل الكل، فيظن صاحبه أنه متوكل من دون بذل أدنى الأسباب .

فإذا اشتبه الباب المحمود بالباب المذموم فلا شك أن الإنتاج سيضمحل ويتلاشى، لكن التوكل الصحيح يؤدي إلى كل خير، بل إلى خيرات الدنيا والآخرة^(٢).

ثالثاً : اشتباه خلع الأسباب عن القلب بتعطيلها عن الجوارح :

وهناك فرق كبير بين خلع الأسباب عن القلب، واعتماد القلب على الله وحده، وبين إعمال الأسباب وفعلها في حق الجوارح، فاعتماد القلب على الله، وخلع الأسباب عن القلب توحيد، وإعمال الأسباب في حق الجوارح بعد اعتماد القلب على الله توكل

(١) مدارج السالكين (١٣٧/٢ - ١٤٣) بتصرف .

(٢) مدارج السالكين (١٣٧/٢ - ١٤٣) بتصرف .

صحيح ، أما إذا عطلت الأسباب عن الجوارح فهو إلحاد وزندقة .
فإذا اشتبه الباب المحمود بالباب الفاسد ، لا شك أن الخلل
سيحدث وبالتالي لا يكون هناك إنتاج^(١) .

رابعاً : اشتباه الثقة بالله بالغرور والعجز :

يقول ابن القيم : والفرق بينهما : أن الواثق بالله قد فعل ما
أمره الله به ، ووثق بالله في طلوع ثمرته وتنميتها ، وتزكيتها ،
كغارس الشجر وباذر الأرض .

والمغتر العاجز : قد أفرط فيما أمر به ، وزعم أنه واثق
بالله ، والثقة إنما تصح بعد بذل المجهود^(٢) .

خامساً : اشتباه الطمأنينة إلى الله بالطمأنينة إلى المعلوم :
لأن الطمأنينة إلى الله مستمرة ، وغير منقطعة ، وهي دائمة ؛
لأن سببها دائم حي قيوم ، وهذا عين التوكل على الله .
أما الطمأنينة إلى المعلوم ، فقد تنتهي وتنقطع بانقطاعه ،
مثل انتهاء نعمة معينة كان العبد قد اطمأن لها فيحصل له ويحضره
هم شديد وبث وخوف ، فهذا دليل على أن سكون العبد لم يكن
إلى الله بل كان للمعلوم .

فإذا اشتبه الباب الأول المحمود وهو الطمأنينة إلى الله ،
بالباب الثاني المذموم وهو الطمأنينة للمعلوم من الأشياء ، فإنه

(١) مدارج السالكين (١٢٤ / ٢ ، ١٣٧ - ١٤٣) بتصرف .

(٢) مدارج السالكين (١٢٤ / ٢ ، ١٣٧ - ١٤٣) بتصرف .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

يحصل الإرباك وينقطع الرضا والعمل وبالتالي يتلاشى الإنتاج إذا وجد، والله المستعان^(١).

سادساً : اشتباه حال التوكل بعلم التوكل :

كثير من الناس يعرف التوكل ، وحقيقته وتفصيله ، فيظن أنه متوكل وهو ليس من أهل التوكل ، فحال التوكل أمر آخر من وراء العلم به ، وهذا كمعرفة المحبة والعلم بها وأسبابها ودواعيها ، وحال المحب العاشق وراء ذلك .

وكمعرفة علم الخوف ، وحال الخائف وراء ذلك ، وهو شبيه بمعرفة المريض ماهية الصحة وحقيقتها وحاله بخلافها^(٢) .
فها أنت قد رأيت اشتباه الدعاوى بالحقائق وظهر لك الحق فالزمه .

الفصل الخامس

الأسماء الحسنى والتوكل

التوكل له علاقة بجميع أسماء الله الحسنى ، لأن التوكل كما عرفه وفسره بعض الأئمة هو المعرفة بالله .
لكن التوكل له تعلق خاص بعامة أسماء الأفعال وأسماء الصفات ومنها :

(١) مدارج السالكين (١٢٤/٢ ، ١٣٧ - ١٤٣) بتصرف .

(٢) مدارج السالكين (١٢٥/٢) .

أولاً : العفو :

وهو اسم من أسماء الله مشتق من العفو والتجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه^(١).

وأدلة ثبوته من القرآن والسنة كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢). وقال عز اسمه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣). وقال جل شأنه : ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (٤). وقال الغفور الرحيم : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ (٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عندما سألته : أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني »^(٦).

(١) (النهاية) لابن الأثير (٣/ ٢٦٥) .

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٥ .

(٤) سورة النساء، الآية ١٤٩ .

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٧ .

(٦) أخرجه الترمذي في (الجامع) (٥/ ٥٣٤) رقم (٣٥١٣) من حديث =

والمتوكلون على الله حق التوكل، يتعبدون الله بهذا الاسم العظيم في غفران ذنوبهم والتجاوز عن سيئاتهم، وفي نصرهم على عدوهم، وفي التخفيف عنهم في المشاق والعفو عنهم فيما لا يملكون، وفي كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ثانياً : الرحيم :

الرحمة تطلق في اللغة على : الرقة والتعطف، كما تطلق على المغفرة، وأيضاً فإنها تطلق على الرزق والغيث.

أما في الاصطلاح : فرحمة الله : عطفه وإحسانه ورزقه، وفي أسماء الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وهما اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أبنية المبالغة، ورحمَنُ أبلغ من رحيم، والرحمَنُ خاص لله لا يسمى به غيره، ولا يوصف به سواه. أما الرحيم فإنه يوصف به غير الله فيقال : رجل رحيم^(١).

وأدلة ثبوت هذين الاسمين من القرآن والسنة كثيرة جداً منها : قال تعالى : ﴿فَلَقَّآءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

= عائشة ثم قال : حديث حسن صحيح، جه (دعاء / ٥)، حم (١ / ١٩)، ١٧١ / ٦، ١٨٢، ٢٠٨، ٢٥٨).

(١) لسان العرب (٢٣٠ / ١٢) ط. صادر، (النهاية) لابن الأثير (٢ / ٢١٠) ط. عام (١٣٨٣هـ).

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣.

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «... فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»^(٣) .

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : علمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، قال : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت العزيز الرحيم»^(٤) .

هذا وقد سمي الله نفسه : ﴿ رَحِيماً ﴾ في الكتاب العزيز في مائة وتسعة عشر موضعاً، والمتوكلون يتعبدون الله بهذا الاسم العظيم : ﴿ الرحيم ﴾ ليغفر ذنوبهم، ويتوب عليهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، ويتقون الله في السر والعلن لعل رحمة الرحيم التي

(١) سورة التوبة، الآية ١١٨ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٥ .

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٧٠/١) رقم (٣٠٢)، حم ٥/١، جه (زهدي/٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٤) صحيح أخرجه البخاري (١٣١/١١) رقم (٦٣٢٦)، صحيح مسلم (٢٠٧٨/٤) .

وسعت كل شيء تسعهم .

والمتوكلون يؤمنون أن كل خير وسعادة، وهداية، وتوفيق،
والطاف، وعناية، وحفظ، وسلامة، وبركة، ونعيم في الدنيا
والآخرة كل ذلك وغيره من آثار رحمة الله التي وسعت كل شيء .
وهي رحمة تليق بالرحيم بجلال وجهه، وعظيم سلطانه،
فاللهم ارحمنا برحمتك يا رحيم .

ثالثاً : الرؤوف :

وهو من الرأفة : وهي أشد الرحمة فهي أرق من الرحمة،
ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة .
أما في الاصطلاح فالرؤوف هو : كثير الرأفة، وهو اسم من
أسماء الله الحسنى فهو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بالطفاه .
وفي رسمه لغتان : رؤوف على وزن فعُول، ورؤف على
وزن فعُل^(١) .

وأدلة ثبوت هذا الاسم الكريم كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) . وقال
تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

(١) (النهاية) لابن الأثير (٢/ ١٧٦)، لسان العرب (٩/ ١١٢) .

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٧ .

لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقد سمي الله نفسه ﴿ رَءُوفًا ﴾ في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، والمتوكل على الله يتعبد الله باسمه ﴿ الرُّؤُوف ﴾ ويعلم أن الله كريم، وجواد، وصاحب الفضل، ولطيف بعباده؛ فكتب له رأفته، ورحمته، وإحسانه، ثم يسأل باسمه ﴿ الرُّؤُوف ﴾ أن يخرجَه من الظلمات إلى النور، وأن لا يضيع إيمانه، وأن يتولاه في الدنيا والآخرة برأفته ورحمته.

رابعاً : فعَّال لما يريد :

وأدلة ثبوت ذلك كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ﴿٣﴾ . وقال تعالى : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ ﴿٤﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٥﴾ . وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيراً

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحج، الآية ٦٥ .

(٣) سورة هود، الآية ١٠٧ .

(٤) سورة البروج، الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٥) سورة المائدة، الآية ٦ .

يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ويعطي الله »^(١) .

فالمتموكل إذا توجه إلى من له الإرادة المطلقة، ويفعل ما يشاء سبحانه، فإن توكله يكون صحيحاً مما يكون له الأثر في تحقيق المقصود .

خامساً : القدير :

وأدلة ثبوت هذا الاسم الكريم كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴾^(٢) . وقال

تعالى : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُزَيِّكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾^(٣) . وقال تعالى :

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليمه للصحابة

دعاء الاستخارة : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير

الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك . . »

الحديث^(٥) .

فالمتموكل يتعبد الله (القادر) ويلجأ إليه ويسأله سبحانه،

الذي له القدرة الشاملة، والتام القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيء،

(١) صحيح البخاري (١٦٤ / ١) رقم (٧١) ، صحيح مسلم (٨١٨ / ٢) رقم

(١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان .

(٢) سورة القيامة، الآية ٤ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٩٥ .

(٤) سورة الملك، الآية ١ .

(٥) صحيح البخاري (١٨٢ / ١١) رقم (٦٣٨٢) .

ويتوكل عليه في تحقيق مطالبه، وهو القدير، الذي له مطلق القدرة، وكمالها وتمامها، الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه.

سادساً : الغفار :

أي الستار لذنوب عباده مرة بعد أخرى .

وأدلة ثبوت هذا الاسم كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾^(١) .
وقال تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾^(٢) .
وقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ؟ قال : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »^(٣) .

(١) سورة طه، الآية ٨٢ .

(٢) سورة ص، الآية ٦٦ .

(٣) أخرجه البخاري في (الصحيح) (١٣١ / ١١) رقم (٦٣٢٦) ، ومسلم في (الصحيح) (٢٠٧٨ / ٤) ، وأبو داود في (الصلاة) رقم (١٧٩) ، والترمذي في (الجامع) (الدعوات) ص (٨٢) ، والنسائي في (السنن) باب (السهو) ص (٥٨) ، وابن ماجه في (السنن) كتاب (الجنائز) ص (٢٣) ، وأحمد في (المسند) (٤ / ١) ، (٢١ / ٢) ، (٤٩١ / ٣) ، (٣٣٨ / ٤) ، (٣٧١ / ٥) .

والمتموكل يعلم علم اليقين أن الذي يستر الذنوب والعيوب مرة بعد أخرى هو الله الغفار، المستمر المغفرة، فهو يتوكل عليه في ستر ذنوبه وعيوبه وغفرانها ومحوها، كيف لا وقد تسمى بالغفار.

سابعاً: التواب:

وهو الذي يتوب على من يشاء من عباده، ويقبل توبته.

وأدلة ثبوته كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿فَلَقَّيْنَاهُ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣).

وكان يُعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور» (٤). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة في حديث الإفك: «.. وإن كنت ألومت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه..» (٥).

(١) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٢) سورة النور، الآية ١٠.

(٣) سورة النصر، الآية ٣.

(٤) رواه الترمذي في (الجامع) (٤٩٤/٥) رقم (٣٤٣٤) من حديث ابن عمر ثم قال: حسن صحيح غريب، وأحمد في (المسند) (٣٨٨/١)، (٣٩٢، ٣٩٤)، (٨٤/٢).

(٥) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٢٧١/٥) رقم (٢٦٦١)، والترمذي في (الجامع) كتاب (الأشربة) الباب الأول، وابن ماجه في (السنن)، =

فالمتوكل يتعبد الله باسمه التواب، لأن العبد محل الخطأ، ومحل الذنب، لكنه سبحانه تسمى بالتواب ليكون دائم الغفران، فكلما أذنبوا تابوا إلى التواب فتاب عليهم، إنه هو التواب الرحيم.

ثامناً : الفتح :

وهو الحاكم بين عباده الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم ديناً ودنياً، ويكون بمعنى الناصر .

ومن أدلة ثبوته :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٦) ﴿١﴾ .

والمتوكل يلجأ إلى الحاكم العدل العالم بحقائق الأمور، الذي يفتح ما انغلق على عباده من أمورهم في دينهم ودنياهم فيتحقق مقصود المتوكل على الله حق التوكل .

تاسعاً : الوهاب :

وهو الذي يجود بالعطاء الكثير من غير استثابة .

وأدلة ثبوته كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) ﴿٢﴾ .

= كتاب (الأشربة) الباب الرابع، والدارمي في (السنن) كتاب (الرقائق) الباب (٦٢)، وأحمد في (المسند) المجلد الأول ص (٣٧٠)، المجلد الثاني ص (١٧٦) .

(١) سورة سبأ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨ .

وقال تعالى: ﴿ أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ (١).
وروى الإمام أحمد من حديث أم سلمة: قال رسول الله ﷺ في حديث دعاء تثبيت القلوب: «... فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب...» (٢). ورواه أيضاً أبو حاتم وابن جرير.
فالمتوكل يتعبد الله الوهاب بسؤاله، ورفع حاجته إليه، لأنه هو الجواد سبحانه، ولا ينقص من ملكه شيء مهما وهب وأعطى.

عاشراً : الرزاق :

وهو القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وما مكنها من الانتفاع به.
وأدلة ثبوته كثيرة منها :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَبَرًا فَقَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ (٦). والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

(١) سورة (ص)، الآية ٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٠٢ / ٦) (تفسير ابن كثير ١٠ / ٢ ط الشعب) .

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٨ .

(٤) سورة المؤمنون، الآية ٧٢ .

(٥) سورة هود، الآية ٦ .

(٦) سورة الملك، الآية ١٥ .

وأما الأحاديث فمنها :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً »^(١).

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الطويل : « ... وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم » من حديث أبي ذر رضي الله عنه^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله برزق عاجل أو آجل »^(٣).

والمتوكل يتوكل على الرزاق في رزقه وفي كل أمره، يتوكل على القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وكل ما ينتفع به في دينه ودنياه، فهو الرزاق في كل زمان، وفي كل حال، ولكل حي، فهو قد تكفل بالأرزاق سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عمر في (السنن) (١٣٩٤/١) رقم (٤١٦٤)، والترمذي في (الجامع) كتاب (الزهد) باب (٣٣)، وأحمد في (المسند) (٥٢،٣٠/١).

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن) (٦٥٦/٤) رقم (٢٤٩٥)، وأخرجه ابن ماجه في (السنن) (١٤٢٢/٢) رقم (٤٢٥٧)، وأخرجه أحمد في (المسند) (١٧٧/٥).

(٣) أخرجه الترمذي في (السنن) (٥٦٣/٤) رقم (٢٣٢٦) ثم قال : حديث حسن صحيح غريب وهو من حديث عبد الله بن مسعود .

حادي عشر: المعطي:

وأدلة ثبوته كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(١).
وقال تعالى: ﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾^(٢). وقال
تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا
فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين والله المعطي، وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون »^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له »^(٦).

(١) سورة طه، الآية ٥٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٠ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٠ .

(٤) سورة ص، الآية ٣٩ .

(٥) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٢١٧/٦) رقم (٣١١٦) من حديث معاوية، ومسلم في (الصحيح) كتاب (الزكاة) الباب (١٠٠)، وأحمد في (المسند) (١٠١، ١٠٠/٤) .

(٦) أخرجه مسلم في (الصحيح) (٥٢١/١) رقم (١٦٨) من حديث أبي هريرة، وأبو داود في (السنن) كتاب (السنة) الباب (١٩)، والترمذي =

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه، دبر كل صلاة مكتوبة: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »^(١).

فالتوكل على الله يثق في عطاء المعطي الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، يثق فيما عند الله الذي قد سمى نفسه بالمعطي، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الذي يعطي بغير حساب، يعطي الكافر كما يعطي المؤمن ويعطي الفاسق كما يعطي التقى، أفلا يعطي من توكل عليه وفوض أمره إليه ووثق فيما عنده، بلى فهو الرزاق ذو القوة المتين سبحانه .

ثاني عشر : المعز المذل :

فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا مذل لمن أعز، ولا معز لمن أذل .

= في (الجامع) كتاب (المواقيت) الباب (٢١١)، وابن ماجه في (السنن) كتاب (الإقامة) الباب (١٨٢)، ومالك في (الموطأ) كتاب (القرآن) الباب (٣٠)، والدارمي في (السنن) كتاب (الصلاة) الباب (١٦٨)، وأحمد في (المسند) (٢٦٤ / ٢)، (٢٦٧) .

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح) (٣٢٥ / ٢) رقم (٨٤٤) من حديث المغيرة بن شعبة، ومسلم في (الصحيح) كتاب (الصلاة) (١٩٤ / ١)، وأبو داود في (السنن) كتاب (الصلاة) الباب (١٤٠)، والترمذي في (الجامع) كتاب (المواقيت) الباب (١٠٨)، وابن ماجه في (السنن) كتاب (الإقامة) الباب (١٨)، والدارمي في (السنن) كتاب (الصلاة) الباب (٧١)، وأحمد في (المسند) (٩٣ / ٤) .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

وأدلة ثبوته :

قوله تعالى : ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ نَشَاءُ وَنَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ نَشَاءُ وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ ﴾ (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله ؟ قالوا : صدق الله ورسوله . . . » (٢).

فالمتموكل إذا أخلص لله وثق في عزة الله ، وأنه لا يمكن أن يذله وهو وليه وهو على كل شيء قدير .

الفصل السادس

أثر التوكل وثمرته

للتوكل آثار وثمرات عديدة يعود خيرها على العبد المتموكل ومنها :

أولاً : حصول المقصود :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦ .

(٢) أخرجه أحمد في (المسند) (٥٧/٢) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) سورة الأنفال، الآيات ٢ - ٤ .

إن المتوكل على الله حقاً، الذي أقام الصلاة، وأنفق من رزق الله، ووجل قلبه إذا ذكر الله، وزاد إيمانه عند سماع كلمة الله، كل ذلك يجعل هذا المتوكل مؤمناً حقاً، ويؤدي إلى تحقيق مقصوده في الدنيا والآخرة من الدرجات العلى، والمغفرة والرزق الكريم.

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ (١).

إن المتوكل على الله المهاجر إلى الله الصابر على ظلم الظالمين في الله قد أحسن الله له العقبى في الدنيا والآخرة، تبوأ في الدنيا الذكر الحسن والعمل الصالح والسعادة الغامرة، أما منازل الآخرة فهي أكبر، أكبر من الدنيا كلها بأموالها وجاهها وأولادها وممتلكاتها، ومتاعها وشهواتها... نعم منازل الآخرة عالية كبيرة - نسأل الله من فضله العظيم -.

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ (٢).

إن السائرين على هدي من الله، والذين صبروا - بأنواع الصبر الثلاثة - وتوكلوا على الله حق التوكل حصلوا سعادة الدنيا

(١) سورة النحل، الآيتان ٤١، ٤٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٨، ٥٩ .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

والآخرة، الإيمان والعمل الصالح في الحياة الدنيا، وتبوء الغرف التي تجري من تحتها الأنهار والخلود في الآخرة، إنه أجر العاملين المخلصين الصابرين المتوكلين فنعم أجر العاملين في الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ (١) .

إن التقوى والتوكل على الله يحصل بهما السداد في القول والعمل، ومن تولاه الله ورزقه وكفاه فهو في سرور وحبور في الدنيا قبل الآخرة، إنه يجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً، هذه سنة الله وقدره، اللهم تولنا وارزقنا واكفنا يا حي يا قيوم، وحقق لنا ما نريد يا الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً » (٢) .

ودلالة الحديث واضحة وهي : أن المتوكل على الله يبذل أدنى الأسباب يحصل له مقصوده .

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣ .

(٢) أخرجه أحمد في (المسند) (٥٢/١) وصححه أحمد شاكر (٢٠٦/١)،

(التوكل) لابن أبي الدنيا ص (١٧)، ابن ماجه (١٣٩٣/٢) رقم

(٤١٦)، وغيرهم .

ثانياً : عدم الفشل ، والحفظ من الزلل :

قال تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

نعم إذا توكل المؤمنون على الله حق التوكل فإنه يتولاهم، وإذا تولاهم فلا يمكن أن يفشلوا .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣).

إن المؤمن المتوكل المستعِذ بالله من الشيطان الرجيم، مسدد، فهو لا يزل ولا يخفق، بل يصل إلى هدفه بأقل التكاليف، وأيسر الطرق، لأن الشيطان ليس له عليه سلطان، ومن منعه الله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفته ووسوسته ولمته، فإن لمة الملك ستتحقق بإذن الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له : كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان » (٤).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٦٥ .

(٣) سورة النحل، الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) أخرجه الترمذي في (الجامع) (٤٩٠/٥) رقم (٣٤٢٦)، وابن أبي =

وقال تعالى : ﴿ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ قُل لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ (١).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما ألقى إبراهيم في النار قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام ورفعت الصحف » (٣).

(١) سورة براءة ، الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧٤ ، (صحيح البخاري) (٢٢٩ / ٨) رقم (٤٥٦٣) ، (التوكل) لابن أبي الدنيا ص (٤٥) رقم (٣٢) .

(٣) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس (صحيح الجامع رقم (٧٨٣٤) ثم قال : صحيح) .

رابعاً : المتوكل على الله يدخل الجنة وله أجر عظيم :

ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ۝ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ۝ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦١﴾ ۝ ﴾ ^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب . . . هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون . . . » ^(٤) .

(١) سورة الأنفال، الآيات ٢ - ٤ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٦ .

(٤) أخرجه البخاري في (الصحيح) (١٥٥ / ١٠) رقم (٥٧٠٥) من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم في (الصحيح) (١٩٨ / ١ ، ١٩٩) رقم (٣٧٢) من حديث أبي هريرة، وأخرجه ابن أبي الدنيا في (التوكل) ص (٤٠) .

خامساً : حصول مقصود المتوكل :

ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٣) (١).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢).

وقال أنس بن مالك : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال : « اعقلها وتوكل » (٣).

سادساً : الحفظ من الشيطان :

ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (١١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (١٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (١٣) وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ

(١) سورة المائدة، الآية ٢٣ .

(٢) سورة النحل، الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا ص (٢٧) رقم (١٢) ، والترمذي في (الجامع)

(٤/١٦٨) رقم (٢٥١٧) وذكره الألباني في (صحيح الجامع) رقم

(١٠٧٩) ثم قال : حسن .

(٤) سورة المجادلة، الآية ١٠ .

وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٦﴾ ﴿١﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له : كفيت ووقيت وتنحي عنه الشيطان »^(٢) .

سابعاً : المتوكل على الله لا تضره فتنة الدجال :

ويدل على هذا قول رسول الله ﷺ : « إن رأس الدجال من ورائه حُبْكُ حَبْكٍ فَمَنْ قَالَ أَنْتَ رَبِّي افْتَنَّ، وَمَنْ قَالَ : كَذَبْتَ، رَبِّي اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا يَضُرُّهُ » أو قال « فلا فتنة عليه »^(٣) .

ثامناً : البراءة من الشرك :

ودليل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطيرة

(١) سورة الإسراء، الآيات ٦١ - ٦٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في (الجامع) (٤٩٠/٥) رقم (٣٤٢٦) من حديث أنس بن مالك ثم قال : حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن أبي الدنيا في (التوكل) ص (٣٦) رقم (٢١) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في (التوكل) ص (٥٤) رقم (٤٢)، وأبو داود في (السنن) (١٧/٤) رقم (٣٩١٠)، والترمذي في (الجامع) (١٦١/٤) رقم (١٦١٤) ثم قال : حسن صحيح، وابن ماجه في (السنن) (١١٧٠/٢) رقم (٣٥٣٨)، وأحمد في (المسند) (٢٨٩/١)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٧٢/١) رقم (٤٣٠) من حديث عبد الله بن مسعود .

شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»^(١).

تاسعاً : المتوكل على الله يتولاه الله :

ويثبت هذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

عاشرأ : المتوكل على الله يحبه الله، ويكفيه، ويعينه، ويؤيده، وهو حسبه ووليه ورازقه :

ويدل على كل ذلك قوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٣) إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليستوكل المؤمنون^(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(٥).

- (١) أخرجه أبو داود (١٧/٤) رقم (٣٩١٠)، ت سر / ٤٧، وأحمد في (المسند) (٣٨٩/١، ٤٣٨، ٤٤٠)، وذكره الألباني في (الصحيحة) (١٧٢/١) رقم (٤٣٠)، ثم قال : صحيح، وابن ماجه في (السنن) كتاب (الطب) الباب / ٤٣ .
- (٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٢ .
- (٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٥٩، ١٦٠ .
- (٤) سورة النساء، الآية ٨١ .

وقال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَنْ يَّبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبْكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ اِذْ يَكْوُلُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ غَرْهًا هَؤُلَاءِ دِيْهُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَابْتَكَ اللَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَاِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴾ (٤) وَاِنْ يُرِيدُوْا اَنْ يَّخْدَعُوْكَ فَاِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيْ اَيْدَكَ بِضِرَّةٍ وَّ بِالْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (٥) وَاَلْفَ بَيْتٍ قُلُوْبِهِمْ لَوْ اَنْفَقْتَ مَا فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا مَّا اَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوْبِهِمْ وَلَٰكِنْ اَلَّفَ بَيْنَهُمْ اِنَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴾ (٦).

وقال تعالى : ﴿ اِنْ تُصِْبَكَ حَسَنَةٌ فَاَسْكَنَتْهُنَّ تَسْوِهُهُمْ وَاِنْ تُصِْبَكَ مُّصِيْبَةٌ يَقُوْلُوْا قَدْ اَخَذْنَا اٰمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَانُوْا اَوْهُمْ فَرِحُوْا ﴾ (٧) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٨).

(١) سورة المائدة، الآية ١١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٢٣ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٩ .

(٤) سورة الأنفال، الآيات ٦١ - ٦٣ .

(٥) سورة براءة، الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٨) (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٣) (٤) .

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه :
(سلام عليك ، أما بعد فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة براءة، الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) سورة يونس، الآيات ٨٤ - ٨٦ .

(٣) سورة الزمر، الآية ٣٨ .

(٤) سورة الطلاق، الآيتان ٢ ، ٣ .

جحاش بن كعب بذلك^(١).

ثاني عشر : المتوكل على الله يفتح الله بينه وبين قومه بالحق :
ومما يثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٢).

ثالث عشر : المتوكل على الله يفوض أموره جميعها إلى الله ، وحينئذ يكفيه الله :

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣).
وقوله : ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤).

وقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥).

(١) انظر : (تفسير ابن كثير (٥٩/٣) ط . الشعب) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة غافر ، الآية ٤٤ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ١٠ .

(٥) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

رابع عشر : المتوكل على الله أكثر الناس توحيداً وإخلاصاً :
وأدلة ثبوت ذلك قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ (٩) . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٣٠) . (٣)

خامس عشر : الهداية لأقوم الطرق :

ويثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١) وَمَا لَنَا إِلَّا
نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١٢) . (٤)

سادس عشر : الصبر :

ومن أدلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) سورة التغابن، الآية ١٣ .

(٢) سورة المزمل، الآيتان ٨ ، ٩ .

(٣) سورة الرعد، الآية ٣٠ .

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان ١١ ، ١٢ .

ظُهِمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ (١).

سابع عشر: المتوكل على الله لا يطيع الكافرين والمنافقين :
ويثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٤٨﴾ (٢).

ثامن عشر : المتوكل على الله يُرْجِع كل شيء إلى الله :
قال تعالى : ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿١١﴾ (٣).

تاسع عشر: المتوكل على الله متيقن أنه على هدى من الله :
قال تعالى : ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٦﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ (٥).
وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ

(١) سورة النحل، الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٨ .

(٣) سورة الشورى، الآية ١٠ .

(٤) سورة هود، الآيات ٥٤ - ٥٦ .

(٥) سورة النمل، الآية ٧٩ .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

فِي ضَلَالِ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ (١) .

هذا ومن أهم ثمرات التوكل الرضا ولأهمية هذه الثمرة سوف نفردها ببحث مستقل .

الفصل السابع

الرضا ثمرة التوكل

الرضا ثمرة التوكل بل فسر بعض العلماء التوكل بأنه الرضا ولا شك أن الرضا أجل ثمرات التوكل، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيهه .

والرضا له تعريفات عديدة تختلف في عبارتها وتتحّد في معناها ومنها :

- ١ - ارتفاع الجزع في أي حكم كان .
 - ٢ - استقبال الأحكام بالفرح .
 - ٣ - سكون القلب تحت مجاري الأحكام .
- والرضا بالهية الله يتضمن عبادته والإخلاص له .
- أما الرضا بربوبيته فإنه يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به، والثقة به والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يفعله به .

(١) سورة الملك، الآية ٢٩ .

والرضا بنبيه رسولاً يتضمن كمال الانقياد له .

أما الرضا بدينه فإنه يتضمن الرضا بحكمه وامثال أمره والانتهاء عن نهيه رضاً كاملاً .

والرضا بالله رباً فرض ومن لم يرض بربه لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال .

وقال ابن تيمية : (المقدور يكتنفه أمران : التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية، وقال بشر الحافي : يقول أحدهم توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به) (١) .

وقد وردت نصوص شرعية عديدة في الرضا ومنها :

قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (٢٧) أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي (٢٩) وَأَدْخِلْ جَنِّي ﴿ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارة : « اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني

(١) تهذيب مدارج السالكين ص (٣٦٣ - ٣٨١) .

(٢) سورة الفجر، الآيات ٢٧ - ٣٠ .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني
واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ذاق طعم الإيمان
من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا »^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من التمس رضا
الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس
بسخط الله وكله الله إلى الناس »^(٣).

وللرضا ثمرات عديدة تعود على الراضي.

ثمرات الرضا :

الرضا يوجب للراضي الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه،
وقراره، وينزل على العبد المتوكل السكينة التي لا أنفع له منها .
كما أنه يفرغ قلبه ويقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه
بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.

(١) صحيح البخاري (٤٨/٣) كتاب (التهجد) رقم (١١٦٢)، والترمذي
في (جامعه) كتاب (الوتر) (١٨)، وابن ماجه في (السنن) كتاب
(إقامة الصلاة) (١٨٨) .

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح) كتاب (الاعتصام)، ومسلم في
(الصحيح) (٦٢/١) رقم (٣٤) .

(٣) رواه الترمذي في (الجامع) (٦١٠/٤) رقم (٣٤١٤) من حديث
عائشة، (صحيح الجامع) رقم (٥٩٧٣) .

ومن ثمرات الرضا : الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى :
قال ابن القيم : (إن قول النبي صلى الله عليه وسلم في
دعاء الاستخارة : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك
بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم » توكل وتفويض .
أما قوله : « فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر ، وأنت
علام الغيوب » فإنه تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة ، وتوسل
بصفاته سبحانه والتي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون .
وأما سؤال العبد ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه
مصلحته عاجلاً أو آجلاً ، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته
عاجلاً أو آجلاً ، فهذا هو حاجته التي سألها ، فلم يبق عليه إلا
الرضا بما يقضيه له فقال : « واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني
به » .

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية والحقائق
الإيمانية التي من جملتها التوكل ، والتفويض ، قبل وقوع المقدور
والرضا بعده وهو ثمرة التوكل ، والتفويض علامة صحته ، فإن لم
يرض بما قضي له ، فتفويضه معلول فاسد .

وهذا معنى قول بشر الحافي المتقدم : يقول أحدهم :
توكلت على الله ، يكذب على الله ، لو توكل على الله لرضي بما
يفعله الله به .

التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة ————— د. مسفر بن سعيد الغامدي

وقول يحيى بن معاذ، وقد سئل متى يكون الرجل متوكلاً؟
فقال : إذا رضي بالله وكيلاً^(١).

وفي الختام أسأل الله أن يجعلنا من المتوكلين عليه حق
التوكل ومن عباده المخلصين المقبولين، ومن أوليائه المقربين إنه
سميع مجيب قريب، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام
على رسوله وحبيبه وخيرته من خلقه أفضل المتوكلين وعلى آله
وصحبه ومن سار على دربه . . آمين .

(١) تهذيب مدارج السالكين ص (٣٦٣ - ٣٨١) .